ويمنعنا!

[الطويل]

وَيَمْنَعُنا مِنْ كُلّ ثَغْرٍ نَخَافُهُ
أَقَبُّ كَسِرْحَانِ الأَباءةِ ضَامِرُ[١]
وَكُلُّ سَبُوحٍ فِي الغُبَارِ كَأَنَّهَا
إِذا اغْتَسَلَتْ بِالمَاءِ فَتْخَاءُ كَاسِرُ[٢]

ما عاب الزمان لوني

قال عند مبارزته أنس بن مدرك الخثعمي:

[الوافر]

إِذا لَعِبَ الغَرَامُ بِكُلّ حُرٍّ؛
حَمِدْتُ تَجَلّدِي وَشَكَرْتُ صَبرِي[٣]

(١) الأقب: الخصر الدقيق الضامر. السرحان: الذئب. الأباءة: الأحبة من القصب. يحول بين الشاعر وبين ذات فم رُصّعت أسنانه لؤلؤاً؛ إنها ذات خصر بديع ضامر اختبأ خلف سُتُر من الديباج، فهي كذئب كاسر محترس يتّخذ من أجمة من القصب ساتراً له.

(٢) السبوح: الفرس تسبح في سيرها بيديها. الفتخاء: العقاب اللينة الجناح. الكاسر: تلك من صفات العقاب، فإنها في حال هبوطها تكسر جناحيها وتضمهما. يتابع الشاعر وصف تلك الفتاة، إنها تشبه فرساً سبوحاً في سرعة خطوها، وهي بمثابة عقاب ابتلّ بالماء وأراد أن يتخلّص من الماء فقام بحركة طيران تساعده على ذلك.

(٣) من طبيعة الضعفاء الاستسلام للمقادير، ومن تلك المقادير الوقوع في شرك الحبّ، فيُقيّدهم وربما يستعبدهم، حينئذٍ يلوذ الشاعر بالصبر على الحرمان والهجران فيشكر صبره لئلّا يفتضح.

وَفَضّلْتُ البِعَادَ عَلى التّدَاني؛
وَأخْفَيْتُ الهَوَى وَكَتَمتُ سرّي[١]
وَلا أُبْقي لِعُذّالي مَجَالاً؛
وَلا أشْفي العَدُوّ بِهَتْكِ سِتْرِي[٢]
عَرَكْتُ نَوَائِبَ الأيّام، حَتى
عَرَفْتُ خَيالها من حَيْثُ يَسْرِي[٣]
وَذَلّ الدّهْرُ لَمّا أنْ رَآني
ألاقي كُلَّ نائِبَةٍ بِصَدْرِي[٤]
وَمَا عَابَ الزّمَانُ عَليّ لَوْني؛
وَلا حَطّ السّوَادُ رَفيعَ قَدْرِي[٥]
إذا ذُكِرَ الفَخَارُ بِأرْضِ قَوْمٍ،
فَضَرْبُ السّيْفِ في الهَيجاء فخرِي[٦]

---

(١) إنه لن يذلّ ويتهاوى لذا بعُد عن أسباب ذلك فملك إرادته ولم يذع خبر حبّه لذا أمسك على نفسه هواها.

(٢) العذال، الواحد عاذل: اللائم. أمكن الشاعر أن يُسكت اللائمين بحسن تصرّفه، فأبقى ألسنتهم مغلقة، ولم يُفسح المجال لمن يحرص على هتك ستره من الأعداء؛ فهم حريصون على إذاعة نقائصه، فهم ينتهزون سانحة ليشوّهوا سمعته لو استطاعوا.

(٣)، (٤) النوائب، مفردها نائبة: المصائب. يفخر الشاعر بتجربته في الحياة، إنه صراع بين الإنسان وما يعترضه من مشاكل لا تتوقّف عند حدّ. لذا تمكّن من أخذ الحيطة لنفسه لئلا يقع ضحيتها؛ فكان أن وقع الدهر ذليلاً تمكّن منه الشاعر وتحكّم بمساره كما يحلو له لأنه تصدّى له بشجاعة وعزم ملأ صدره.

(٥)، (٦) لم يكن الزمان ظالماً كظلم الناس بل إنه لم ينتهز فرصة اسوداد لونه =

سَمَوْتُ إلى العُلا وَعَلَوْتُ حَتى
رَأيْتُ النّجْمَ تَحتي وَهْوَ يجرِي[١]
وَقَوْماً آخَرِينَ سَعَوْا وَعَادوا
حَيَارَى مَا رَأوْا أثَراً لأثرِي[٢]

أنا الموت

يتوعد قوماً بالحرب:

[الطويل]

إذا لم أُرَوّي صَارِمي من دَمِ العِدا،
وَيُصْبِحُ من إفرِنْدِهِ الدّمُ يَقْطرُ[٣]
فَلا كُحِلتْ أجفانُ عَيْني بالكرَى؛
وَلا جاءني من طَيْفِ عَبْلَةَ مُخبرُ[٤]

= ليصوّب له سهام المكائد، فالشاعر رفيع القدر في ذاته لما يتمتّع به من مواهب ساعدته على بلوغ المجد. والناس يفتخرون بتوافه الأمور أما هو فإنه فتى الميدان والجلاد إذا كان لسيفه الكلمة الفصل.

(١) لقد بلغ الشاعر سماء المجد، فإذا به يشع في العلاء على بني جنسه حتى النجوم راحت تستمد النور والضياء لإشعاعه وبريق مجده.

(٢) وثمّة من سعى جاهداً لبلوغ ما بلغه الشاعر من مجد فعادوا حيارى هلكى يشترّون عجزهم وضعفهم ولم يقتدوا به حتى يدركوا ما أدركه، فرجعوا تمزّقهم الحسرات وتتآكلهم الغيرة.

(٣)، (٤) الصارم: السيف البتّار. الإفرند: جوهر السيف ووشيه. إن من أسباب إغفاءة الشاعر إعطاء السيف حقّه من إروائه من دم الأعداء حتى يقطر إفرنده من دمائهم، حينئذٍ يرتاح باله فيغفو مطمئنّ النفس ويأتيه طيف عبلة يعلمه مقدار حبّها له وإعجابها به.